على ضوء مقولته يتهم الشعر باللين والضعف فى عصر صدر الإسلام ، بل راح يدقق فى الاتهام حين جرّه على شعر حسان ، فاتهمه بالضعف بعد إسلامه وكان قويا قبله ، ليؤكد مقولته على مافيها من غموض الدلالة حول مفاهيم النكد أو الليونة أو الضعف !.

فإذا بإدموند فوللر يردد نفس المقولة ، أو يبدو قريبا منها حين يقول على سبيل السخرية من ذلك المنطق الأحادى « هناك تجميع لألوان الحرمان لا يخفى من عناصر التلذذ والانغماس فى الملذات والمرح الصبيانى ، إن العديد من هؤلاء الأدباء يصرخون : انظروا ها أنا أكفر[1] ..

ولعل قوله هذا ينطبق بوضوح شديد على فئة من شعرائنا القدامي ممن رفعوا شعار هذا المنطق الناقص للأشياء ، خاصة منهم من لم يروا السلوك إلا من منظور الرذيلة ، على نحو ما كان من منهج بشار فى إعلانه ضرورة التحدى لكل القيم قائلا :

من راقب الناس مات همـــــا وفاز باللّذة الجســـــــور

وهو ما ردّده مؤكدا وقاصداً :

من راقب الناس لم يظفر بحاجتـــه وفاز بالطيبات الفاتكُ اللهـــج

أو ما تمادى فيه أبو نواس بلا حدود حتى أصبح مذهبا له وفلسفة حياة ، حين عرض مجاهرته بزندقته وأعلن مجونه وتحلله من خلال مثل هذا التحدى المعلن ، وكأنه الفلسفة الوحيدة لحياته ابتداء من قوله :

دَعْ عنك لومى فإن اللوم إغـــراء وداونى بالتى كانت هى الـــداء

وانتهاءً إلى قوله :

فخُذْها إن أردت لذيذَ عيـــش ولاتعدل خليلى بالمـــــدام

فإن قالُوا : حرام ، قُلْ حـــــرام ولكن اللذاذةَ فى الحـــــرام

فمثل هذه الرؤى تبدو على درجة من القصور الذى لايحمد لأصحابها ، ولايتصور أن يُتقبل منهم تحت أى من مبررات الظَّرْف الاجتماعى أو غيره ، ذلك أن الواقع لايجب أن يظل حبيس الانغماس فى اللذة الطارئة ، خاصة حين تتكرر لتصبح قاعدة سلوك وجوهر حياة بشكل

(٣) خمسة مداخل ٧٢ .